

الطُّمأنينةُ القلبيـــةُ

تعليق

د . حمزة بن فايع آل فتحي



﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ سورة الرعد : ٢٨



والقلــبُ يُحييه القــرانُ وحبُّــه ** ويعيـــدهُ لمبــــاهجٍ وســـــلامِ

الفهرس

الافتتاح

الحمدُ للهِ رب العالمين ، وأصلي وأسلمُ على خاتم النبيين ، ورحمة العالمين ، وعلى آلهِ وصحبه أجمعين...

أما بعد :

فمن موانحِ الباري علينا، تنزيلُ الكتاب ، ورحماتُ القرآن ، وارتياح الوجدان من تلكم التلاوة، أو هذه الصلوات ، أو خطاب الدروس والمحاضرات ، وقد تضمنها نسماتُ الذكر ، ونعمةُ البيان، وحلاوة البرهان ..!

ولا ندري كيف سنستطعم الدنيا وليس فيها أنوارُ القرآن ، أو كيف يتطيب حدائقها وهي خاوية بلا آيات مشرقة ، أو كيف تسر مجالسها وقد ذبُلت عن الذكر والمواعظ الباهرة ..

ومن ثم كان هذا القرآن رحمةً لنا وهو يتلى في الصلوات ، ويخطب به العلماء، ويتفقه فيه الحكماء ، وفي اطار السياق الدعوي ، وقد طاب لنا التعاليق على مواعظه، والتوجيهات على بيناته ، من خلال كلمات المساجد الموجزة ، فقد أثرنا بعضها ونبهنا على حسنها، وهززنا عطرها، فكان منها مواعظُ ملهمة ، وكلمات موقظة ، وجمل مؤنسة ، تعد سببًا للسعادة ، ومقوما للحياة الطيبة، وما يسمى بالراحة النفسية ، والطمأنينة القلبية التي يتداعى لها الخلائق هذه الأيام..(الذين آمنوا وتطمئنُ قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) سورة الرعد .

فعندكم يا مسلمون مادة ذلك ، المكنونة في القرآن وعبره، وفي الكتاب وعظاته، وفي التبيان وروائعه ..

وقيدها هنا لتعالجَ قضية التدبر المهجورة ، ونحيي معالمها، التي توقظ الضمائر ، وتزكي القلوب، وتطهر النفوس ، ولا أعظم من كتاب الله شفاءً وهداية وتزكية (قد أفلحَ من زكاها) سورة الشمس .

وتأتي مثل هذه الكتابات تقريبًا وتبسيطًا للخطاب وصفاته، ولعل بعضها يكونُ معينا لذوي الإلقاء الدعوي ، والنشاط الوعظي ، الذين جعلوا من همتهم وهجًا دعويا، ومن عزمتهم بداراً بلاغيًا، يرمي لهدايةِ الناس ، ونفع المجتمع ، وتقريب معاني القرآن .

وقد يسر الله للعبد الفقير نشر كتب في ذلك، ومؤخراً ما سمي (قرأ الإمامُ.. وفي القراءة متعةٌ) والحمد لله كان وقعه طيبا في الأوساطِ الدعوية ، وتلقي باهتمام وحفاوة...!

وها هنا نلتقي بكم في (الطمأنينة القلبية) والتي يصنعها ذلك الكتاب ببيناته وعجائبه ، فهو تاجُ الأنوار ، وسرُّ الأسرار ، تتلوه أو تسمعه ، أو يُلقى عليك فتحسُّ الطمأنينة ، وتستطعم السعادة، وتعيش الشرح والفرح . فيا سرورَ من وُفق له، ويا سعادة من أصغى إليه ، وامتزج بدمه وعصبه، فبات له طعام شهيًا، وغذاءً مرعيًا..!

فلن يجدَ القلب دواءً أو غذاءً انفع من كتاب الله وتدبره، والخلوص له، وترداده كل حين وساعة. قال العلامةُ ابن القيم رحمه الله: (وأما التأمل فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ تَحْدِيقُ نَاظِرِ الْقَلْبِ إِلَى مَعَانِيهِ، وَجَمْعُ الْفِكْرِ عَلَى تَدَبُّرِهِ وَتَعَقُّلِهِ، وَهُوَ الْمَقْصُودُ بِإِنْزَالِهِ، لَا مُجَرَّدُ تِلَاوَتِهِ بِلَا فَهْمٍ وَلَا تَدَبُّرٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَى {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ

مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص: ٢٩] وَقَالَ تَعَالَى {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} سورة محمد.

المدارج١/٤٥١ .

وقال أيضًا رحمه اللهُ " فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر؛ فإنه هو الذي يورث المحبة والشوق، والخوف والرجاء، والإنابة والتوكل، والرضى والتفويض، والشكر والصبر، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله، وكذلك يزجر عن الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب وهلاكه، فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها. مفتاح دار السعادة ص ٢٠٤ .

وقال أيضًا رحمه الله :

" أهل القرآن هم العالمون به، العاملون بما فيه، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب، وأما من حفظه ولم يفهمه، ولم يعمل بما فيه، فليس من أهله، وإن أقام حروفه إقامة السهم" .زاد المعاد١/ ٣٢٧ .

اللهم اجعلنا من أهلِه، وانفعنا بمواعظه ، وألهمنا تدبره وفقهه يا أرحمَ الراحمين ، ويا وليَ الصالحين ، والحمدُ لله رب العالمين.

مساء الإثنين

٣/ ٤/ ١٤٤٣هـ

محايل عسير

١/ (سبحانَ الذي أسرى بعبده ليلًا)

- انتقى إمامنا آيةً فأمتعنا بقوله تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام...) فانقدحَ في ذهنه تلك الرحلة العظيمة في ظروف لا يمكن تحصلها ، أو توقعها ، وكيف سار رسولُ الله، وسافر، وقضى ليلته ، وصلّى بالأنبياء في بيت المقدس، ثم عُرج به إلى السموات العلى، ورأى سدرةَ المنتهى، وعاين آيات ربه الكبرى... في ليلة واحدة، وفي ساعة زمان خاطفة...!

- فكانت محنةً للمشركين ولأصحابه المؤمنين ، ابتلوا بها، وأيقن المؤمن بعظمة خالقه ، وصدق رسوله ، وأنّ الكونَ بيد الله ، والعاقبة لأوليائه ..! وقد كان إسراءً حقيقيا

لجسده وروحه لأنه قال: (بعبده) وهو يشملهما ، والتحدي بِه أعظم..!

- وقوله: (سبحان الذي أسرى) يمجد الله تعالى نفسه ، ويعظم شأنه لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه كهذه المعجزة الكونية ، فلا إله غيره ولا رب سواه (الذي أسرى بعبده) يعني محمداً صلى الله عليه وسلم ونعته بالعبودية لشرف مكانته هنا (ليلاً) أي جزء من الليل (من المسجد الحرام) وهو مسجد مكة (إلى المسجد الأقصى) وهو بيت المقدس الذي بالقدس في فلسطين المحتلة ، وهنالك تم المعراجُ، وفُرضت عليه الصلوات الخمس ، وكانت الرحلة تثبيتا له وسلوانا ..!

- وامتُحن بها أهل الايمان لغرابتها فآمن من آمن ، وكفر من كفر، وسمي أبو بكر بالصديق من لحظتها لتصديقه رسول الله ، ورده على المشركين ، والسنة التفكرُ في هذه الحدث والإيمانُ به ، واعتقاد قدرة الله وفضله على رسوله وعباده .. والسلام .

٢/ (ءَايَاتٌ لِلسَّائِلِينَ)

- تلا الشيخُ علينا تلاوة من صدر سورة يوسف ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [سورة يوسف : ٧]. وفعلًا إذا تأملنا هذا السورةَ وقصتها الآسرة ، وجدتم فيها الآياتِ العجب ، والمعاني الذهب، والعظات النُّخَب .. ففيها علامات قدرة الله وحفظه لعباده، ونصرته للمستضعفين ، وكيده لهم من الكائدين ، وفيها دليل على أنَّ الكونَ جار بسنن وقوانين يجريها الله كما يشاء .

- وفيها أنواعٌ أخرى من العبر والمواعظ والحِكم نحو: رؤيا يوسف عليه السلام، وما حقق الله فيها من نور وظهور، ومنها حسد إخوته له ، وما آل إليه أمرهم من الضعف

والانكشاف ، ومنها صبر يوسف على ما فعلوا به وما آل إليه أمره من الملك والتمكين، ومنها حزنُ يعقوب وصبره على فقد ولده وما انتهى إليه أمره من بلوغ المراد، وارتفاع البلاء، وتحقق الرؤيا ، وتمكين يوسف وغير ذلك من الآيات.

- وقد وصفها القرآنُ بأنها (أحسن القصص) قيل : نقص عليك من الكتب الماضية والقرون الخالية وأمور الله السابقة في الأمم أحسن البيان، وقيل أحسن القصص لأن ما في هذه السورة من القصص يتضمن من العبر والمواعظ والحكم ما لم يكن في غيرها ، وقيل لما فيها من حسن المحاورة ، وما كان من يوسف عليه السلام من الصبر على أذاهم وعفوه

عـنهم، وقيـل لأن فيهـا ذكـر الأنبيـاء والصـالحين والملائكـة والشـياطين والجـن والإنـس والأنعـام والطيـر وسـير الملـوك والمماليك والتجار العلماء والنساء وحيلهن ومكرهن. وقال عطاء رحمه الله : " لا يسمع سورةَ يوسف محزون إلا استراح إليها" .

- والسببُ أن فيها حزنا وسلوةً، وصبرا ومعاناة ، وبلاء وتمكينًا ، ومتاعـب وسـعادة، وضـيقًا وانفراجًـا، وظلمًـا وانتصـارا .. والسلام .

٣/ (يحولُ بين المرء وقلبه..)

• هـذه الآيـةُ العظيمـةُ إذا تفكـرت فيهـا تجعلـك تـوقنُ عظـيمَ الإيقـان، أنـك هزيـلٌ ضـعيف ، لا طاقـة لـك ولا قـوة، إلا بالاعتماد على الحي القيوم ..﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [سورة الأنفال : ٢٤] : فالله تعالى أملكُ لقلوب عباده منهم وأنه يحول بينهم وبينها إذا شاء حتى لا يدرك الإنسان شيئًا إلا بمشيئته عز وجل. وقال ابن عباس الحبر رضي الله عنه : يحول بين المؤمن وبين الكفر ومعاصي الله، ويحول بين الكافر وبين الإيمان وطاعة الله، وقيل : يحول بين الإنسان وقلبه ، فلا يستطيع أن يؤمنَ أو يكفر إلا بإذنه وإرادته.

- والخلاصةُ الذي دلت عليه البراهين نقلًا وعقلاً ، أن لا تغترَّ بصلاحك وميلك الديني أو الدنيوي ،وأن أحوالَ القلوب اعتقادات ودواع وإرادات، وتلك الإرادات لا بد لها من فاعل مختار وهو الله تعالى، فثبت بذلك أن المتصرف في القلب كيف شاء هو الله، فالمعنى أنه يحول بين المرء وخواطر قلبه أو وإدراك قلبه بمعنى أنه يمنعه من حصول مراده ، أو يمنعه من الإدراك والفهم .

- وقيل : إنهم لما فكروا في كَثْرَةِ عدوهم وقلة عَدَدِهِمْ، فَدَخَلَ الخوف قُلُوبَهم، أعْلَمَهُ اللهُ تَعالى أَنَّهُ يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وقَلْبِهِ بِأَنْ يُبْدِلَهُ بِالخَوْفِ الأمْنَ، ويُبْدِلَ عَدُوَّهُ بِالقُوَّةِ الضَّعْفَ؛ وقَدْ أعْلَمَتْ هَذِهِ الآيَةُ أنَّ اللهَ تَعالى هو المُقَلِّبُ لَلْقُلُوبِ،

المُتَصَـرِّفُ فِيهـا. قَوْلُـهُ تَعـالى: ﴿وَأَنَّـهُ إِلَيْـهِ تُحْشَـرُونَ﴾ أيْ: لَلْجَزاءِ عَلى أعْمالِكم. ولـذلك شُـرع لنـا دائمـا تعاهـدُ القلـب بالدعاء والتطهير والتزكيـة ، وصـحّ دعـاؤه (اللهـم يـا مقلـبَ القلوب ثبت قلبي على دينك)، لأنـه متقلـب ، كثيـرُ الأفكـار، شديد الخواطر ، ولا عاصم له إلا الله تعالى بفضله ورحماتـه، فهو الحائل له عن كل سوء ومكروه ، والله المستعان .

٤/ (ويوم لا يسبتون لا تأتيهم..)

• هنا قصةٌ عجيبة فيها عظة وعبرة.. قرية تدعى " أيلة " على ساحل البحر، وقيل : مدين ابتلاهم الله بتحريم الصيد يوم السبت ، وإباحته بعد ذلك، فكان يأتيهم يوم السبت ظاهرًا متضخمًا ، امتحانا من الله، فصنعوا حياضًا تعزله السبت ، وصادوه الأحد، فمسخهم اللهَ جزاء تحايلهم على الشرع... ﴿وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِى كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِى ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعًا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفۡسُقُونَ﴾ [سورة الأعراف : ١٦٣] . أَيْ: وَاسْأَلْ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ الَّذِينَ بِحَضْرَتِكَ عَنْ قِصَّةِ أَصْحَابِهِمُ الَّذِينَ خَالَفُوا أَمْرَ اللهِ، فَفَاجَأَتْهُمْ نِقْمَتُهُ

عَلَى صَنِيعِهِمْ وَاعْتِدَائِهِمْ وَاحْتِيَالِهِمْ فِي الْمُخَالَفَةِ، وَحَذِّرْ هَؤُلَاءِ مِنْ كِتْمَانِ صِفَتِكَ الَّتِي يَجِدُونَهَا فِي كُتُبِهِمْ؛ لِئَلَّا يَحِلَّ بِهِمْ مَا حَلَّ بِإِخْوَانِهِمْ وَسَلَفِهِمْ، من النقمة والعذاب .

- وقوله: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ﴾ أَيْ: نَخْتَبِرُهُمْ بِإِظْهَارِ السَّمَكِ لَهُمْ عَلَى ظَهْرِ الْمَاءِ فِي الْيَوْمِ الْمُحَرَّمِ عَلَيْهِمْ صَيْدُهُ، وَإِخْفَائِهِ عَنْهُمْ فِي الْيَوْمِ الْمُحَلَّلِ لَهُمْ صَيْدُهُ ﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ﴾ نَخْتَبِرُهُمْ ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ يَقُولُ: بِفِسْقِهِمْ عَنْ طَاعَةِ اللهِ وَخُرُوجِهِمْ عَنْهَا. وَهَؤُلَاءِ قَوْمٌ احْتَالُوا عَلَى انْتِهَاكِ مَحَارِمِ اللهِ، بِمَا تَعَاطَوْا مِنَ الْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي مَعْنَاهَا فِي الْبَاطِنِ تَعَاطِي الْحَرَامِ.

- واعلموا أن بني إسرائيل هنا افترقت ثلاث فرق : فرقة عصت وصادت، وفرقة اعتزلت فلم تنه ولم تعص، وفرقة اعتزلت ونهت ولم تعص، فقالت الطائفة التي لم تنه ولم تعصِ للفرقة الناهية لم تعظون قومًا ، يريدون الفرقة العاصية ، الله مهلكهم أو معذبهم، قالوا ذلك على غلبة الظن لما جرت به عادة الله من إهلاك العصاة أو تعذيبهم من دون استئصال بالهلاك فقالت الناهية موعظتنا معذرة إلى الله (ولعلهم يتقون) ..!

- ثم إن القومَ العصاة نسوا الذكرى، وتقاعسوا في الاتعاظ فوقع عليهم العذاب والمسخ، فهلكوا.. ونجّى الله الناصحين، وسكت عن الساكتين..(أنجينا الذين ينهون عن السوء) أي

الذين فعلوا النهي ولم يتركوه (وأخذنا الذين ظلموا) وهم العصاة المعتدون في السبت (بعذاب بئيس) أي شديد وجيع، (بما كانوا يفسقون) أي بسبب فسقهم واعتدائهم وخروجهم عن طاعتنا. واختُلف هل نجت الفرقة الساكتة ، وقد راجعَ عكرمة رحمه اللهُ شيخه ابن عباس فيها.. قَالَ: قُلْتُ: جَعَلَنِي اللهُ فَدَاكَ، أَلَا تَرَى أنهم قَدْ كرهوا مَا هم عَلَيْهِ، وخالفوهم وَقَالُوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ قَالَ: فَأَمَرَ لِي فَكُسِيتُ ثوبين غليظين ..! ويؤيد ذلك أن الهلاك وقع الذين ظلموا وليس الذين كرهوا بقلوبهم وكلامهم ، والله تعالى أعلم.

٥/ (أكابرَ مجرميها..)

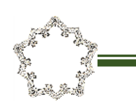
- الوصفُ بالأكابر هنا يجذبك، لتفقهَ عظمةَ ما يحدثه الإنسان من فسادٍ عريض في الأرض ، وصدٍّ عن سبيل الله، وكما أن للحقَ رؤوسا وأنصارًا ، فكذلك الشر وصنوفه له روؤس وعظماء يروجونه ويزينونه للناس..(وَكَذَٰلِكَ جَعَلنَا فِى كُلِّ قَريَةٍ أَكَٰبِرَ مُجرِمِيهَا لِيَمكُرُوا) سورةُ الأنعام:١٢٣ . وكذلك أي مثل ذلك الجَعل بمكة (جعلنا في كل قرية أكابر) الأكابر جمع أكبر وهم الرؤساء والعظماء وخصهم بالذكر ، لأنهم أقدرُ على الفساد وترويج الباطل بين الناس من غيرهم، لامتلاكهم المال أو السلطة والمكانة ، وإذا خف إيمانهم

تعاظمَ شرهم واللهُ المستعان. ولذلك كانت هدايتهم سببًا في صلاح الناس، وسد منافذ الشرور ..!

- وهذه من السنن الإلهية في المجتمعات ، أن تجد الشر والخير ، والباطل والهدى ، ليعظم الصراع ، وتشتد المحاجة، ومع تخويف الآية منهم وأخذ الحذر ، إلا أنها تبشر بهلاكهم ووقوع بلواهم عليهم...(وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون) . وفي ذلك تسليةٌ لأهل الايمان ما صبروا وقاموا بواجب النصيحة والإنكار ..! كما قال:

(ولا يحيقُ المكرُ السيئ إلا باهله) سورة فاطر .

- ولا يُعرفُ الإيمانُ وصدقُه وجمالُ أهله ، إلا بوجود المجرمين وأكابرهم، ومن يحتسب نصحهم والأخذ على





أيديهم ، وتذكيرهم عقابَ الله وسخطه ، قال في الحديث وهو أول نص في المسند : قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ وَتَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوَاضِعِهَا : { عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ } : وَإِنَّا سَمِعْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ ". فكلٌّ ينكر حسب قدرته فقهًا وحكمةً ، والله الموفق .

٦/ (فذلك الذي يدعُ اليتيم)

- تعجبتُ كيف نُزعت من قلبه الرحمة تجاه إخوانه الأيتام والضعفاء ، فيردهم دفعًا وعسفا، ولا يصرفهم برفق، إذا تعذرت معونتهم ...(أرأيتَ الذي يكذب بالدِّين فذلك الذي يدعّ اليتيم ...) سورة الماعون . فلم يكفِه تكذيبه بالمعاد والقيامة حتى زاد عليه قهر الأيتام وأذيتهم..! والتعبير بالدعّ هو الدفع بقوة وجفاء، دليل على انعدام الرحمة وتلاشي السماحة، واستلذاذ الظلم ..!

- وبعضُ الغواة يتلذذ بظلم هؤلاء الضعفاء، إما ببخسهم حقوقهم، أو ردهم عن الموائد ، أو بالقسوة المطلقة معهم، واستقذار حضورهم أو مجالستهم ، وقد صحّ قوله صلّى اللهُ عليه وسلم:(من لا يرحم لا يُرحم). وفي الربط بين التكذيب

بالمعـاد، وقهـر الأيتـام ، دليـل علـى أن الإيمـانَ بـالآخرة وحقائقها سبيل إلى رقة القلب ورحمة الخلقِ ..!

- وواجبٌ علينا أهل الإسـلام رحمـةُ بعضنا بعضا، والانتصار لضعفائنا، والرفق بهم، وإشراكهم مجالسنا وطعامنا، فإنما المؤمنـون إخـوة ، وكالجسـد الواحـد تراحمـًا وتآخيـًا وتعاطفًا...!

- فنتعلم مـن الآيـة رحمـة النـاس، لا سـيما الضـعفاء ، وأن لا نعنفهم ، وأن نجعلَ منهم مادةً للرحمة والإحسان ، وسبيلا موصـلا إلـى جنـات النعـيم ، وقـد صـح قولـه صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ، أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ، عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ ". فكن قريبًا منهم، هينا بهم، سهلا في مساعدتهم ، والسلام .

٧/ (وإذا الوحوشُ حشرت..)

- من عظمةِ القيامة، أن الإنسان يجمعون، والدواب كذلك ، يحضرُ جميعهم للحساب والقصاص..، قال تعالى : (إذا الشمس كورت.. إلى أن قال: وإذا الوحوش حشرت) سورة التكوير . جمعت ليوم القيامة وجئ بها جميعهم ، ليقتص الله من بعضها لبعض، ويرى العباد كمال عدله، حتى إنه ليقتصُّ من القرناء للجماء ثم يقول لها: كوني ترابا، وتفنى وتنتهي ، وحينها يودُّ الكافر صورتها ومصيرها ..(ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابًا) .

- وفي حشرها في القيامة دليل على كمال عدله تعالى، وأن ذلك في حق الإنسان أعظم وأشدّ، لأنه المكلف ، وقد سخر له كلُّ

شيء ، فعاين وأبصر ، ولكنه أعرض واستكبر . وبخصوص حساب البهائم قال في صحيح مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ".

- وحسابُها من باب المقاصة وليس أنها مكلفة، لكنه إنذارٌ لبني آدم بأخذ الحيطة والترقب وحرمة الظلم ، وليس من شرط الحشر والإعادة في القيامة المجازاةُ والعقاب والثواب ، وأما القصاص من القرناء للجلحاء فليس هو من قصاص التكليف ، إذ لا تكليف عليها ، بل هو قصاص مقابلة ، ومعظم المفسرين على أنها تحشر كلها حتى الذباب يقتص

منها ، ثم يقال لها كوني ترابـًا. والجلحاء بالمد هي الجماء التي لا قرن لها ، والله أعلم .

- والدرسُ هنا ضرورة التهيؤ للقيامة بالأعمال الصالحة، وأن الجميع مؤاخذ مسؤول ، لا يظلم مثقال ذرة، فمن أحسن فله الحسنى ، ومن أساء فله السوأى، وما ربك بظلام للعبيد .

٨/ حتى عاد كالعرجون القديم..!

- لما تُليت تذكرَ عرجونَ النخل وعودَه المقوس المصفر ، وكيف شبهه الله بذلك ، ونحن نشاهدُ القمرَ جميلا بهيًا، هلالًا ، ثم يتنامى حتى يسير بدرًا مكتملا ، ثم يتناقص حتى يصير دقيقًا، وتختلف منازله ، حتى يتصاغر كالعرجون القديم ..!فهل تأملتم منازل القمر ، وتفاوت أحجامه ، كما قال تعالى : (والقمرَ قدرناه منازلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) وَالْعُرْجُونُ : عُودُ الْعِذْقِ الَّذِي عَلَيْهِ الشَّمَارِيخُ، فَإِذَا قَدُمَ وَعَتَقَ يَبِسَ وَتَقَوَّسَ، فَشُبِّهَ الْقَمَرُ فِي دِقَّتِهِ وَصُفْرَتِهِ فِي آخِرِ الْمَنَازِلِ بِهِ.

• وفي هـذا دليـلٌ علـى عظـيم قـدرة تعـالى ، وأنّ بيـده ملكـوت السـموات والأرض ، يصـرف هـذه الآيـات كيـف يشـاء ويسـخرها لعباده، وذكـر العلمـاء أنّ منازلـه ثمانيـةٌ وعشـرون منزلًا في ثمانٍ وعشرين ليلـةً من كـلِّ شـهر، ويستتر ليلتينِ إنْ كان الشهر ثلاثين يومًا، وليلـةً إنْ كـان تسـعةً وعشـرين يومًـا . وذلـك مـن آيـات الله العظـام التي تتطلـب التفكـر والاعتبـار . وكل من هذه الآيات في فلك يسبحون .

• والحكمـةُ مـن هـذه المنـازل معرفـةُ النـاس عـددَ السـنين والحساب كما قال الله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ ﴾ سورة يونس . وقال ﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ سورة الإسراء . حتى إن العالِمين بمنازل

القمر يعرفون الليلةَ من الشهر ، وإن كانوا لم يحسبوا من أول الأمر ، بناء على معرفة المنازل ، لأن هذه المنازل لا تتغير ، وحلول القمر فيها أيضًا لا يتغير ، فهو منتظم بأمر الله تعالى، وهذا من فضل اللهِ ورحمته على عباده ، فله الحمد والشكر ، تبارك الله رب العالمين .

٩/ (نعيم الأبرار..)

• يتبادرُ إلى الذهن أن أهل الإيمان متمتعونَ ومنعمـون في الجنـة فقط، وما دروا أن للطاعة نعيمًا صـافيًا ، ولـذةً بالغـة، وسـعادة غانيـة، تكفـيهم عــن الـدنيا وزهــراتهم وزخارفهـا، في كـل أحوالهم وتنقلاتهم...(إنّ الأبرار لفي نعيم، وإنّ الفجار لفي جحيم) سورة الانفطار .

• فللطاعات جمالٌ ومحاسن وانشراح ، وذلك بفضل ما أودعه الله في سبيله ومحابه من أنسام واعطار ، فلا تنغيصَ لهـم ولـو قل مالهم ، وعز جاههم ، لا سيما وهـو في تـلاوةٍ وذكـر، وفِـي صلاة وفكر .. بَلْ هَؤُلاءِ فِي نَعِيمٍ فِي دُورِهِمُ الثَّلاثَةِ، وهَـؤُلاءِ فِي جَحِيمٍ فِي دُورِهِمُ الثَّلاثَةِ. وَأيُّ لَذَّةٍ ونَعِـيمٍ فِي الـدُّنْيا أطْيَـبُ مِـن

بِـرِّ القَلْـبِ، وسَـلامَةِ الصَّـدْرِ، ومَعْرِفَـةِ الـرَّبِّ تَبـارَكَ وتَعـالى ومَحَبَّتِهِ، والعَمَلِ عَلى مُوافَقَتِهِ؟ وهَـلِ العَـيْشُ في الحَقِيقَـةِ إلّا عَيْشُ القَلْبِ السَّلِيمِ؟ وما ذاقه من حلاوة القـرآن ، وجماليـات الإيمان ، وقَدْ أثْنى اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى عَلى خَلِيلِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ بِسَلامَةِ قَلْبِهِ، فَقـالَ: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْراهِيمَ - إِذْ جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٣-٨٤].

- وقد استطعم الصـالحون ذلـك، حَتّى يَقُـولَ بَعْضُـهم في حـالِ نَزْعِهِ: واطَرَباهُ. وَيَقُولُ الآخَرُ: " مَساكِينُ أهْلُ الدُّنْيا، خَرَجُوا مِنها وما ذاقُوا لَذِيذَ العَيْشِ فِيها، ومـا ذاقُـوا أطْيَـبَ مـا فِيهـا... قيل: وما أطيب ما فيها،،؟! قال: ذكرُ الله والأنسُ به والشـوق إلى لقائه" . وَيَقُولُ الآخَرُ: " لَوْ عَلِمَ المُلُوكُ وأبْناءُ المُلُوكِ

ما نَحْنُ فِيهِ لَجالَدُونا عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ " .وَيَقُولُ الآخَرُ: " إنَّ في الدُّنْيا جَنَّةً مَن لَمْ يَدْخُلْها لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الآخِرَةِ" .

- وهنا درس مهم لابد لبني آدم معرفته، وهو أن بر الطاعة يبدأ مع صاحبه من الدنيا، ويحس أثره وحُسن عاقبته، وكذلك قبح الطاعة وحسرتها تبدأ من الدنيا حتى الآخرة ، فيجد العاصي غبها في حزن ومتاعب لا تكادُ تنقضي ، والله المستعان.

١٠/ (كبُر مقتًا عند الله..)

• ليس شيءٌ أعظمَ مقتًا وسوءا ممن يقول ولا يفعل، وينصح ولا يطبق، ويدعو ولا يبادر، او قد يُرى في خلاف كلامه ودعواه، كما قال سبحانه :(كَبُرَ مَقتًا عِندَ ٱللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفعَلُونَ) سورة الصف :٣ . وقيل إن فيها معنى التعجب ، وهذا من أفصحِ الكلام وأبلغه، والمرادُ تعظيم الأمر في قلوب السامعين، لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله..!

• وقبلها ناداهم (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفعَلُونَ) وكأن هذا ليس من عادة المؤمنين ولا من سمتهم وخلقهم ، وفِي هذا تعريض بمن يقصر أو يتساهل في هذه القضية ، وهو يزعم الإيمان الصحيح ، لأن المؤمن لا يتناقض ..!

- ولـذلك ليحـذر المـؤمن هـذا السـلوك ، الـذي لا يحملـه المؤمن الحقيقي، ولكنه أليقُ بأهلِ النفاق ، ولـذلك قيـل : نَزَلَتْ فِي شَأْنِ الْقِتَالِ، كَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ: قَاتَلْتُ وَلَـمْ يُقَاتِـلْ وَطَعَنْتُ وَلَـمْ يَطْعَـنْ، وَضَـرَبْتُ وَلَـمْ يَضْـرِبْ، فَنَزَلَـتْ هَـذِهِ الْآيَـةُ . وروي : نَزَلَـتْ فِـي الْمُنَـافِقِينَ كَـانُوا يَعِـدُونَ النَّصْـرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَهُمْ كَاذِبُونَ .

- واذا سئلت عن صور المقت المبغوض ، فمثل هـذه الصـورة المتناقضـة في حيـاة بعـض النـاس . والواجـبُ دفعهـا بحسـن العمل، وصحة الاستقامة ، وسؤالُ الله الثبات ولزوم الصـراط المســتقيم ، وطهــارة القلــب مــن كـل الأسـقام والأهــواء والأوضار ، والله الموفق .





١١/ (وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل..)

- تلاها الشيخُ فهزَّت وجداننا ، إذ تحققَ مقصودها في الحال..! قالوها أعني الصحابة صادقين معتقدين، فجاءتهم النصرةُ والعون والتأييد..(فانقلبوا بنعمة من الله وفضل)! فلماذا لا نصل ما وصلوا إليه ، ونصيب طرائقهم وسلوكهم الذي يشع بالإيمان ، ويزهر باليقين (الذين قال لهم الناس إنّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم..فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) سورة آل عمران .

- فمهما خوفوا أو أرهبوا ، أو آذوا وكادوا ، فإنّ كيدهم عليهم، وتخويفهم سيحيط بهم، بفضلِ الاستعصام بالله والتوكل عليه... وهذه جملة التوكل والإيمان الصادق..





(حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها إبراهيم الخليل عليه السلام لما ألقي في النار، فنجاه الله ، وقالها رسولنا الكريم لما هددوا في غزوة حمراء الأسد فانتصروا وكُبت الذين كفروا ، وانقلبوا خاسرين..! ولا يزال الصالحون والمصلحون يقولونها عبر التاريخ فتنجيهم بإذن الواحد الأحد (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) سورة الطلاق .

- ومعناها كما يقول العلماء : حسبنا الله : أي الله كافينا ، فالحسب هو الكافي أو الكفاية ، والمسلم يؤمن بأن الله عز وجل بقدرته وعظمته وجلاله يكفي العبد من كل ما أهمه وأصابه ، من الهموم والأخطار والأعداء.

و (نعم الوكيل)، أي : أمدح من هو قيِّم على أمورنا ، وقائم

على مصالحنا ، وكفيل بنا ، وهو الله عز وجل ، فهو أفضل وكيل ؛ لأن من توكل على الله كفاه ، ومن التجأ إليه سبحانه بصدق لم يخب ظنه ولا رجاؤه ، وهو عز وجل أعظم من يستحق الثناء والحمد والشكر لذلك . فقل مثل ذلك مستشعرا لها، معتقدا معناها ، مستطعما بركتها وخلاصتها .

والله ولي التوفيق .

١٢/ (لقد خلقنا الإنسان في أحسنِ تقويم..)

- نعم وأيمُ الله ، تقويمٌ باهر، وشكل حسن، وهيئة جميلة، كما قال تعالى جوابا للقسم السابق :(لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٍ) [التين : ٤] .قالوا: إن الله خلق كل ذي روح مكبـًا على وجهه إلا الإنسان ، خلقه مديدَ القامة ، سهل الحركة ، يتناول مأكوله بيده، مزينـًا بالعلم والفهم والنطق والعقل، والتمييز والأدب، فهو أحسن الخلق بحسب الظاهر والباطن ، فلله الحمد والشكر .

- فتأمل بديعَ صنع الله فيك، جسمٌ وعقل، ونشاطٌ وحركة ، وسرعة وتنقل...! ومن الطريف الجميل : روي أن رجلاً قال لامرأته: إن لم تكوني أحسنَ من القمر فأنت طالق ..؟!

فأفتى بعضُ أهل العلم بأنها صارت مطلقة، وقال الشافعي رحمه الله : لم تطلق لأنها من جنس الإنسان، والله تعالى يقول: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) فلو كان القمرُ أحسنَ صورة من الإنسان لم يصفه الله سبحانه بأحسن تقويم، ولنعمَ ما قيل:

ما أنت مادحها يا من يشبهها ** بالشمسِ والبدر لا بل أنت هاجيها

من أين للشمس خالٌ فوق وجنتِها ** ومضحك من نظام الدر في فيها

من أين للبدر أجفانٌ مكحلةٌ ** بالسحر والغنج تجري في حواشيها

- لكنَّ ذلك الحُسن بعد طول العمر، يتردى ويتغير وهي من سنن الخلق (ثم رددناه أسفل سافلين) أي أرذل العمر ، فيسقمُ الجسد، ويعتري العقل خرف وفند، ينسيه ويرديه،

ويتعاطى كثيرًا من الأدوية ، والحمد لله على كل حال..!

ولكن تذكر ذلك يحملك على الاتعاظ وحُسن العمل،

والمبادرة إلى الصالحات ، والله الموفق .

١٣/ (ان إبراهيم كان أمة..)

• ما أجملَ الوصف، وما أطيبَ الثناء على سيدنا الخليل ابراهيم عليه السلام ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ . سورة النحل : ١٢٠ . فهو أُمَّةٌ وحده؛ أيْ: إمامٌ مُقْتَدًى بِهِ، يَعْلَمُ النّاسَ الخَيْرَ؛ كَما قالَ تَعالى: ﴿إنِّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ إمامًا﴾ [البقرة: ١٢٤]، وأنَّهُ قانِتٌ لِلَّهِ، أيْ: مُطِيعٌ لَهُ، وأنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنَ المُشْرِكِينَ، وأنَّهُ شاكِرٌ لِأنْعُمِ اللهِ، وأنَّ اللهَ اجْتَباهُ، أيِ: اخْتارَهُ واصْطَفاهُ. وأنَّهُ هَداهُ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ.وهذه من أروع الصفات التي يحملها المؤمن المبتغي رضوان الله تعالى .

- ونستفيدُ هنا العالم الأمة ، والمؤمن الأمة ، الذي يجمعُ خصال الخير، ويكون قدوةً لأصحابه ، كالشيخ مع طلابه، وإمام المسجد مع جماعته، والمتحدث مع طالبيه. وهذا يحتم علينا حسن التدين ، وصدق الاستقامة، ونفع الناس .
- ومن خصال هذا الأمة: الطاعة لخالقه ، صادق التوحيد ، متباعد عن كل مظاهر الشرك والبدع ، والشكر المستديم (لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد) سورة إبراهيم. وسردها بهذا الجمال المشوق يستدعي التخلق بها، والعمل عليها . ويستطيع عالي الهمة، متقد العزيمة، أن يسير سيرة هؤلاء الصالحين ، فيكون رفيعًا فوق كثير من الناس ، اذا جد في طاعة الله ، وتفقه وابتهل ،

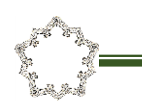
كإبراهيم عليه السلام، الذي استكمل كثيرًا من الخصال الطيبة، ونحن مندوبون دائمًا إلى الاستكثار من الأعمال الصالحة... ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ لِكَمالِهِ واستجماعه فَضائِلَ لا تَكادُ توجدُ إلّا مُفَرَّقَةً في أشْخاصٍ كَثِيرَةٍ كَقَوْل القائل: لَيْسَ على اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ... أنْ يَجْمَعَ العالَمَ في واحِدٍ..! والسلام.

١٤/ (فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا..)

- هل توقعتُم أن قومًا محصَّنين بكل أنواع القوة والتحصين ، يـتم اختـراقهم بشـيءٍ عجيـب يخطـفُ قلـوبهم، ويرهـبُ صدورَهم ، فيتسلل فيهم تسـللًا خفيًا ، لا يُـرى في الجنـد ، ولا يلمـس في القـوة، ولكنـه أقـوى القـوى ، وأشـد الجنـود والأسـلحة ، وهـو الرعـب ، كمـا قـال سـبحانه وتعـالى: (فأتـاهمُ ٱللَّهُ مِـن حَيـثُ لَـم يَحتَسِـبُوا وَقَـذَفَ فِـى قُلُـوبِهِمُ ٱلرُّعبَ) سورة الحشر :٢ وقد زاد من رعـبهم قتـل سـيدهم كعـب بـن الأشـرف ، عـلاوةً علـى مـا تـم مـن حصـارهم وتجويعهم وحرق نخيلهم ..!

- وهؤلاء هم قبيلة بني النضير من اليهود ، وقعت غزوتهم سنة ٤ من الهجرة ، بعد محاولتهم اغتيال الرسول صلى الله عليه وسلم إذ جاءهم طالبًا مساعدتهم في دية قتيلين. بعد ذلك عاد إلى المدينة وأرسل إليهم طالبًا منهم الخروج من المدينة، فتحصنوا وحاصرهم عدة ليالي وبعد الحصار طلبوا اجلاءهم عن المدينة فوافق الرسول ﷺ شرط أن يأخذوا ما تحمله الإبل دون السلاح .

- وهذا النص من النصوص الجالبة للأمل ، والمبشرة بظهور الدين وانتصار حملته ، ما صدقوا واستمسكوا ، وأن الأمرَ بيد الله، وأن قدرته غالبة، ووعده أكيد ، وقد صح حديث (نُصرتُ بالرعب مسيرة شهر) فمهما ضعفت الأسلحة ،





وقلت العدة، فلدى المؤمنين قوةٌ متينة ، وسلاح قـاطع يكمـن في الرعب المقذوف في قلوب الأعادي ، والله ينصـر مـن يشـاء وهو العزيز الرحيم..! والسلام .

١٥/ (لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا..)

● حيث يسكن الخصامُ ويتلاشى الغضب، وتذهب الحماقات، ويعود المرءُ الى رشده ..! وذلك حينما يطلق الرجل زوجه طلاقا رجعيًا ، مرةً واثنتين ، فقد حرم عليه الإسلام إخراجها من البيت، وحرم عليها هي الخروج ، قال تعالى : (لَا تُخرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخرُجنَ إِلَّا أَن يَأتِينَ بِفَٰحِشَة مُّبَيِّنَة) ثم قال : لعل الله أيْ: إِنَّمَا أَبْقَيْنَا الْمُطْلَّقَةَ فِي مَنْزِلِ الزَّوْجِ فِي مُدَّةِ الْعِدَّةِ، لَعَلَّ الزَّوْجَ يَنْدَمُ عَلَى طَلَاقِهَا وَيَخْلُقُ اللهُ فِي قَلْبِهِ رَجْعَتَها، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَيْسَرَ وَأَسْهَلَ ، وفِي ذلك من حرص الشرع على حفظ البيوت ولَم الشمل ما لا يخفى .

● ولا يجوز إخراجها إلا حينَ الإتيان بفاحشة مبينة، وصار منها الأذى ، ولَم يطق احتمالها ..! وما عدا ذلك فالسنة الانتظار

والتربص ، لعلّ الله يجمعُ بين القلوب ، وتحل الرحمة محل السخط ، والمودة محل القطيعة ، لأن غالب مشاكلنا من الغضب والانفعالات المتزايدة ..! وفِي وصيته صلى الله عليه وسلم المشهورة :(لا تغضب لا تغضب) وعي جماعُ حسن الخلق، وجوهر العشرة اللطيفة .

- ولو طُبقَ هذا الأدبُ الشرعي في تعاملاتنا الزوجية لسكنت كثير من المشكلات، ولآبت الأمور ، وطابت المعضلات ، ولانتُصر على الشيطان ووساوسه ، وزالت كثير من الخلافات، وتلاشت إحصائيات الطلاق المرتفعة في بلاد المسلمين ، والله الموفق .

١٦/ (فرت من قسورة..)

• كنت أتعجبُ من ضيقة بعض الناس من المواعظ والذكرى ، ولا يريد حضورها ..فإذا صلى انصرف مسرعًا ، أو حضر مناسبةً وسمع من يذكر تذمر وتضايق ، حتى سمعت الآية ووعيتها ، حيث قال الله عن فرار العصاة من الذكرى وصوت القرآن ، كفرار الحمر من الأسد...(فرت من قسورة) سورة المدثر. فَقَدْ شُبِّهُوا في إعْراضِهِمْ عَنِ القُرْآنِ واسْتِماعِ ما فِيهِ مِنَ المَواعِظِ بِحُمُرٍ وحْشِيَّةٍ جَدَّتْ في نِفارِها مِمّا أفْزَعَها . وفي تَشْبِيهِهِمْ بِالحُمُرِ مَذَمَّةٌ ظاهِرَةٌ وتَهْجِينٌ لِحالِهِمْ ، كَما في قَوْلِهِ سُبْحانَهُ ﴿كَمَثَلِ الحِمارِ يَحْمِلُ أسْفارًا﴾ [اَلْجُمْعَةِ: ٥] أوْ

شَـهادَةٌ عَلَـيْهِمْ بِالبَلَـهِ وقِلَّـةِ العقـل، وقيـل القسـورة الرمـاة الأقوياء.

- ولمـاذا كراهيـةُ أنسـامِ المـواعظ.. وفيهـا عبـرة وذكـرى ، ونصـح وتوجيـه ، وإشـفاق ورحمـات...(فمـا لهـم عـن التذكرة معرضين كانهم حُمْر مستنفرة، فرت من قسورة). فشـابهوا الكفـار في مـوقفهم مـن القـرآن والـذكر ، وهـذا لا يليق بهم، وفي ذلك تقبيح لشأنهم وزجر لحالهم، وتهـوين من ذواتهم..!
- والواجـبُ تبجيـلُ المـواعظ الدينيـة ، وتـوقير أصـحابها ، والبهجة بنفحاتها، واعتبارها رحماتٍ نازلة، وغيوثا وابلة ، تهدي القلب والروح، وتنشرُ السعادة والصفاء ، قال صلى

الله عليه وَسَلَّمَ: (لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ). وقال في حديث النفر الثلاثة فيمن فر وانسحب :(وأما الثالثُ فأعرضَ فأعرض الله عنه). والله الموفق .

١٧/ (فيهن قاصرات الطرف..)

• ما أروعَ الوصفَ هنا جمالًا وذكرًا وعفةً.. فنساء الآخرة عفيفات مهذبات ، فهم يقصرن أبصارهن على أزواجهن المتكئين من الإنس والجن لا ينظرن إلى غيرهم ولا يرين سواهم﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ﴾ [سورة الرحمن: ٥٦] . والآية دلت على فضيلة الحياء ، لأن الطرف حركة الجفن، والحبيبة لا تحرك جفنها ولا ترفع رأسها ، وقد تقدم شبه هذا في سورة الصافات قال ابن عباس: " قاصرات الطرف عن غير أزواجهن " والرجال فيهم غيرة على أزواجهن ، لا يملنَ للمرأة المتطلعة لغيرهم. فجعل الله ذاك لهم من تمام النعيم والتلذذ.

- وهي موعظةٌ لنساء الدنيا بالحرصِ على العفة والحشمة ، المكنونة في الحجاب وستر الوجه والجسم، وإخفاء المحاسن إلا ما ظهر منها . ولو لم يكن ذاك من جمال النساء واكتمال لذتهن لم يجعله الله نعيما فائقا في جنات النعيم .

- ولما كانت العفة بهذه المكانة والملائمة النعيم الأخروي كررها ، قال في مواضع أخرى: ﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ﴾ [الصافات ٣٨-٤٩] والعِين : حسان العيون .وفِي ص : ﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ٥٢﴾ . أَيْ: عَنْ غير أزواجهن فَلَا يَلْتَفِتْنَ إِلَى غَيْرِ بعولتهن ﴿أَتْرَابٌ﴾ أَيْ: متساويات فِي السن والعمر .

- وهذا يستلزم للعفيفات التباعد عن الاختلاط وتجنب مكالمة الرجال، إلا للحاجة الماسة ، فإن الأنثى إذا كثُرت مخالطتها للرجال فقدت من أنوثتها ما تضايق منه الرجل، وقلت الرغبة فيها، ألا ترى في معاريتهن أحيانًا بقولهم : مسترجلة لا تصلح للزواج..! وكذلك هن إذا رأين الرجالَ نواعم لم تنشط هممهن في الارتباط بهم ، والله المستعان .

١٨/(ثمَّ لَا يُتبِعُونَ مَا أنفقُوا مَنّا وَلَا أذى..)

- هنا أدبٌ جميل لتكتمل الصدقة وتطيبَ الفرحة ، وتنشرح الروح، إذا تصدقت فحاذر المن والأذى ، ولا تعلق تعليقات سلبية توحي بالترفع أو الإساءة لذلك المحتاج ..﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموَٰلَهُم فِى سَبِيلِ ٱللهِ ثُمَّ لَا يُتبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنّا وَلَا أَذى لَّهُم أَجرُهُم عِندَ رَبِّهِم وَلَا خَوفٌ عَلَيهِم وَلَا هُم يَحزَنُونَ﴾ [سورة البقرة : ٢٦٢] .

- والمنّ هو ذكر النعمة على معنى التعديد لها ، والتقريع بها، وقيل المنُّ : التحدثُ بما أعطى حتى يبلغ ذلك المعطى فيؤذيه، والمن من الكبائر كما ثبت في صحيح مسلم وغيره أنه أحد الثلاثة الذين لا ينظر الله إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب

عظيم، ومنهم : (الْمَنَّانُ الَّذِي لَا يُعْطِي شَيْئًا إِلَّا مَنَّهُ) .

والأذى السب والتطاول والتشكي .

- (لَهم أجْرُهم عِنْدَ رَبِّهِمْ) ثوابهم المَوْعُودُ بِهِ قَبْلُ: (ولا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ(أيْ: فِيما يَسْتَقْبِلُونَهُ مِن أهْوالِ يَوْمِ القِيامَةِ: (ولا هم يَحْزَنُونَ) عَلى فائِتٍ مِن زَهْرَةِ الدُّنْيا، لِصَيْرُورَتِهِمْ إلى ما هو خَيْرٌ مِن ذَلِكَ فضلًا ومكانة .

- وفِي هذا الأدب حفظ لمنزلة الفقير، وعدم تحقيره أو استصغاره ، وأنّ المال مال الله يؤتيه من يشاء من عباده، ولا فضل فيه لغني على فقير، ولا لوجيه على محتاج.. والسلام .

١٩/(ليسوا سواءً من أهل الكتاب أمة قائمة..)

- هذه قاعدةٌ عظيمةٌ في استعمال العدل مع الناس والمخالفين ، فبرغم ما اشتهر عن أهل الكتاب من التحريف والتكذيب ، وقتل الأنبياء والمقسطين ، إلا أنه يوجد فئاتٌ مؤمنة صالحة ، كما قال سبحانه :(لَيۡسُوا۟ سَوَآءࣰۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَـٰبِ أُمَّةࣱ قَاۤىِٕمَةࣱ) سورة آل عمران :١١٣ . وكذلك عدم التعميم في الأحكام ، والعدل في نقد الناس وتقويمهم ، كما قال تعالى :(ولا يجرمنكم شنآنُ قوم على أن لا تعدلوا) سورة المائدة .
- وهذه الأمة الصالحة ، مهتدية قائمة من أمر الله ، لم تنزع عنه ولم تتركه، كما تركه الآخرون وضيعوه، وقيل قائمة على كتاب الله وحدوده. (يتلون آيات الله) أي يقرؤن كتابه (آناء

الليل) أي ساعاته، وهم يسجدون أي يصلون طبيعةً واستدامة ..!

• ثم عدَّد لهم صفات أخرى جميلة: (يُؤْمِنُونَ بِاللهِ) يَعْنِي يُقِرُّونَ بِاللهِ وَيُصَدِّقُونَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ. (وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) قِيلَ: هُوَ عُمُومٌ. وَقِيلَ: يُرَادُ بِهِ الْأَمْرُ بِاتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ. (وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ النَّهْيُ عَنْ مُخَالَفَتِهِ. (وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ) الَّتِي يَعْمَلُونَهَا مُبَادِرِينَ غير متثاقلين مسارعين في طاعة الله .(وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ) أَيْ مَعَ الصَّالِحِينَ، وَهُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي الْجَنَّةِ. ثم قال: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ أَيْ: لَا يَضِيعُ عِنْدَ اللهِ تلكم الحسنات الطيبات، بل يجازيكم عليها أطيبَ الجزاء .

﴿وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ أَيْ: لَا يَخْفَى عَلَيْهِ عَمَلُ عَامِلٍ، وَلَا يَضِيعُ لَدَيْهِ أَجْرُ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا، وابتغى بذلك وجه الله تعالى.

٢٠/ (كأنهم جراد منتشر..)

• هل رأيتم جيوشَ الجراد المنتشر، في بعض الاحايين ، كيف تغزو المدينة والعمران.. وتبينَ لكم كم هي مخيفة موحشة.. وإذا حُشر الناس يوم القيامة من قبورهم خرجوا سراعًا كأنهم جراد منتشر ..(يَخرُجُونَ مِنَ ٱلأَجدَاثِ كَأَنَّهُم جَرَادٌ مُّنتَشِر) سورة القمر :٧ . وَهِيَ: الْقُبُورُ، ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ أَيْ: كَأَنَّهُمْ فِي انْتِشَارِهِمْ وَسُرْعَةِ سَيْرِهِمْ إِلَى مَوْقِفِ الْحِسَابِ إِجَابَةً لِلدَّاعِي ﴿جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ فِي الْآفَاقِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أَيْ: مُسْرِعِينَ ﴿إِلَى الدَّاعِي﴾ ، لَا يُخَالِفُونَ وَلَا يَتَأَخَّرُونَ، ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ أَيْ: يَوْمٌ شَدِيدُ

الْهَـوْلِ عَبُـوس قَمْطَرِيـر، قـد تحطمـت أمـانيهم، وزالـت علائقهم!

- ولشدة الهول وعظم الخطب، ينتشرون لايعرفون وجهتهم ، ولا أيـن مسـيرهم ، وعبَّـر بالانتشـار، كنايـةً عـن الحيـرة والاختلاط ، فهو جراد منتشر أي منبث: في الأقطار، مختلطٌ بعضُه ببعض في الأماكن فزعًا واضطرابًا .
- والعبرةُ هنا تذكرُ يوم القيامة، وأنه حقٌ موعود، وزمنٌ مرصود ، وفِي بعـض مظـاهر الـدنيا مـا يـذكرنا بعـد مـواعظ القـرآن والسـنة، كحركـة الجـراد المنتشـرة ، ومـا فيهـا مـن خـوف واضـطراب، وكـذلك حضـور المـوت، وتخطـف بنـي آدم ، وانقشاع حلاوة الدنيا، وذهاب خضرائها ، وصيرورة المقابر

بين مدننا.! فكل ذلك يحملنا على التفكر والاستعداد ، وأننا في دار العمل ، وسننتقل بعدها إلى دار الحساب والجزاء ، ومن كلام رسولنا البليغ :(اللهم لا عيشَ إلا عيشُ الآخرة ، فاغفر للأنصار والمهاجرة).. والله المستعان .

٢١/ (غلبت علينا شِقوتنا..)

- هكذا كان اعتذارُ المكذبين بعد قيام الحجة عليهم، وظهور البراهين ، وانشغالهم يوم القيامة وَلِهَذَا قَالُوا: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ سورة المؤمنون: ١٠٦ . أَيْ: قَدْ قَامَتْ عَلَيْنَا الْحُجَّةُ، وَلَكِنْ كُنَّا أَشْقَى مِنْ أَنْ نَنْقَادَ لَهَا وَنَتَّبِعَهَا، فَضَلَلْنَا عَنْهَا وَلَمْ نُرْزَقْهَا...! فآثرنا الدنيا ومفاتنها على الحق وسطوع الهدى والمعنى غلبت علينا لذاتنا وشهواتنا فسمي ذلك شقوة لأنه يؤول إلى الشقاء ..!
- ولا أشقى ممن عاينَ الحق ولَم يهتد، وأبصرَ الدلائل فكذب وأبى ، ولامسَ الأنوار ، فاختار الظلماتِ ، وأغلقَ

كل منافذ الخير إلى قلبه ، فالروحُ سوداء، والفؤاد عمي،

والجوارحُ صادّةٌ، والأفكارُ موحشةٌ والله المستعان .

- فالشقوةُ البالغة هنا سدَّت كل المنافذ ، وحجبت السبل، ومنعت الأنسام ، وعيشتهم في ظلمةٍ وحيرة، وفِي فساد وضلالة ، حسّنت القبائح ، وقبّحت الطيبات، حتى تُخُيل لهم أنهم على شيء ، وسخروا بالخير وأهله ، وكذبوا الهدى وأربابه ، حتى جاءت القارعة وحلّت الواقعة ، فصحت الضمائرُ ، واستيقظت الأرواح ، ولكن بعد فوات الأوان، والله المستعان .

- فاعترفوا مؤخراً بضلالهم.. وأن تلك الأمجادَ في الدنيا زائفة ، والثروات فانية، والملذات فارغة، ولَم تكن إلا شقوات

طغت عليهم ، فأنستهم ذكرَ الله، فصدوا عن السبيل ، وما كانوا من المستبصرين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ..!

٢٢/ (ولقد همت به وهم بها..)

- مشهدٌ قصصيٌ عظيم ، يخطفُ الأنظار من قصة يوسف عليه السلام، ولحظة تاريخية في البلاء الدعوي ، وفي الوجدان الإيماني ليوسف ولجمهرة المؤمنين..! فكم تمر بهم من فتن ، وكم يلاقون من بلايا..؟! وبعيدًا عن الجدل الطويل هنا، يهمنا كيف نجا المؤمن هنا..؟! وكيف رعته عين الله تعالى..(وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ) سورة سويف :٢٤ .

- ولو ركزنا هنا على سببِ حفظ الله لعباده الصالحين لكان أجدى في العلمِ ، وأنفعَ في المعرفة وحسن العاقبة ، ومنها:(لولا أن رأى برهان ربه) والبرهان علامة نجاة من الله ، ولكنها لا توهب لكل الناس، سوى من ثبته الله تعالى، لا

سيما اذا استحضرنا صلاح يوسف واحسانه من اول السورة..(انا نراك من المحسنين). وأيضًا قال تعالى:(كَذَٰلِكَ لِنَصرِفَ عَنهُ ٱلسُّوءَ وَٱلفَحشَاءَ إِنَّهُۥ مِن عِبَادِنَا ٱلمُخلَصِينَ) فعلل أنّ الإخلاصَ سببٌ في النجاة والصرف، وتجاوز تلك الفتن العاصفة.

- وكل ما ذكر أهلُ التفسير من أقوال في الهم وإرادة المعصية مردودٌ بالقرآن وطهارة مقام النبوة ، وأن غالبها إسرائيليات، والجواب السديد، أنّ الهم كان طبيعيًا فطريًا ولكنْ تزمه التقوى، أو يقال على طريقة أهل اللغة، أنَّ يُوسُفَ لَمْ يَقَعْ مِنهُ هَمٌّ أصْلًا، بَلْ هو مَنفِيٌّ عَنْهُ لِوُجودِ البُرْهانِ. وَنَظِيرُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿إنْ كادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أنْ رَبَطْنا عَلى قَلْبِها﴾ [القصص: ١٠]، وذلك البرهان

من حفظ الله لعباده الصالحين المصلحين ، وفي الحديث الصحيح :(احفظِ الله يحفظكَ ، احفظ الله تجده تجاهك). قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :" معلومٌ أن الزاني حين يزني إنما يزني لحب في نفسه لذلك الفعل ، فلو قام بقلبه خشية الله التي تقهر الشهوة ، أو حب الله الذي يغلبها ، لم يزن ، ولهذا قال تعالى عن يوسف عليه السلام: (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين) ، فمن كان مخلصا لله حق الإخلاص لم يزن، وإنما يزني لخلوه عن ذلك ، وهذا هو الإيمان الذي ينزع منه .. والله الموفق .

٢٣/ (فَقُلْتُ استغفِروا ربَّكم إنَّهُ كانَ غفّارًا..)

- ليس شيءٌ أحسن للمسلم في هذه الحياة ، من لزوم الاستغفار، والتوبة كثيرا من خطاياه.. والسببُ ضعف بني آدم ، وكثرة مقارفته الدنيا ، وقلة حسناته ، ولذلك لنجعل من عادتنا وطبعتنا اللهج بالاستغفار والمتاب، كما قال تعالى: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكم إِنَّهُ كانَ غَفّارًا) سورة نوح . وهو طبع رسول الله عليه الصلاة والسلام وسمته وعادته، ففي الحديث الصحيح : (يا أيها الناسُ توبُوا إلى الله، فإنِّي أتوبُ في اليومِ إليه مائةَ مرَّةٍ) . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قالَ: " إنْ كنَّا لنَعُدُّ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم في المجلسِ الواحدِ مائةَ مرَّةٍ: "ربِّ اغفِرْ لي وتُبْ عليَّ،

إنَّك أنت التَّوَّابُ الرَّحيمُ". رواه أحمدُ وابن ماجه وهو صحيح .

- ومن ثمرات الاستغفار كما في الآياتِ اللاحقة ..(يُرسِلِ ٱلسَّمَاءَ عَلَيكُم مِّدرَارا ، وَيُمدِدكُم بِأَموَٰل وَبَنِينَ وَيَجعَل لَّكُم جَنَّٰت وَيَجعَل لَّكُم أَنهَٰرا). مدرارًا أي: كثير الدرّ والسيلان. وفي هذه الآية دليل على أن الاستغفار من أعظم أسباب نزول الغيث، وحصول أنواع الأرزاق والمنافع، ومن لازم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا ورزقه من حيث لا يحتسب .

- فيا من تشكو تعسر الأرزاق ، وضيق المعايش، وكثرة المتاعب لازم الاستغفار ، وكرر التوبة إلى الله تعالى ، ولا

تذهب ساعاتك بلا ذكر واستغفار وإنابة ، ويروى روي عن لقمان أنه قال لابنه : يا بني عوّد لسانك "اللهم اغفر لي" فإن لله ساعاتٍ لا يرد فيها سائلا. وقال علي – رضي الله عنه – " ما ألهم الله – سبحانه – عبدا الاستغفار وهو يريد أن يعذبه".

والسلام .

٢٤/ ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ..﴾

- إذا اتسعت الشهواتُ ، ووُجد مروجوها ودعاياتها وناشروها، فلا تتخيل عِظمَ الميل ، وسعةَ الانحراف ، وكثرة الشرور، لأنَّ العقل يفقد صوابه، وتطغى العاطفة، وتذبل الأخلاق ، والفطرة تنتكس ، ومن ثم لا اسباب لصاحبها ولا دين ولا مروءة ، والله المستعان .. قال تعالى :(وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيكُم وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا مَيلًا عَظِيما):٢٧ سورة النساء .

- والشهواتُ الغالبة تفسد دين المرء وخلقه، فيحرص على إفساد الآخرين ، وتبني الخلاعة، وانتشار الفواحش ، وجعلها سلعا متاحة في كل مكان..! ولهذا يقع الميل العظيم، فتشاهد

بلايا وموبقات، وصناعًا ومحترفين ، ووسائل ومعالم لا حد لها ولا نهاية ...! وهو ما تعاينه في هذا العالم الذي غلّب الشهوات على العلم والجد ومنافع بني آدم ، بل صارت الشهواتُ بضاعةً مروجة وسلعًا تجارية تغزو الآفاق ، وتتنافسُ فيها الأمم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

- وإذا أشربت قلوبُهم الشهوة آثروها على الدين والخلق ، والمعاني والأخلاق ، وعظمت ضيقتُهم من الدرس والخير والقيم..! ولم يزالوا مروجين لها ساعين ..!

- ومن فقِهَ الدين والدنيا ومخاطر الشهوات، علم أنه في دارِ ابتلاء ، وعليه المجاهدة وكبح جماح النفس..(وجاهدوا في الله حق جهاده) ولهذا سئل الخليفةُ عمر بن الخطاب رضي

الله عنه: " أيما أفضل رجل لم تخطر له الشهوات، ولم تمرّ بباله، أو رجل نازعته إليها نفسه فتركها لله؟ فكتب عمر رضي الله عنه: " إن الذي تشتهي نفسه المعاصي، ويتركها لله عز وجل من الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم. والله الموفق .

٢٥/ (وقال الشيطانُ لما قضي الأمرُ..)

• ذلـك الشـيطانُ الـذي ترصـد لبنـي آدم في حيـاتهم الـدنيا وأزعجهـم ، وزيـن لهـم المحرمـات، وكسّـل في الخيـرات ، وأضل أمما كثيرًا ، يتبرأ منهم يوما القيامة، ويعلن في خطبته في جهـنم أنـه لـم يكـن يملـك سـوى الـدعوة والإغـراء..(وَقَالَ ٱلشَّيطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلأَمرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُم وَعدَ ٱلحَقِّ وَوَعَدتُّكُم فَأَخلَفتُكُم ..) سورة إبراهيم: ٢٢ . قَالَ الْحَسَنُ رحمه الله : "يَقِفُ إِبْلِيسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَطِيبًا فِي جَهَنَّمَ عَلَى مِنْبَرٍ مِنْ نَارٍ يَسْمَعُهُ الْخَلَائِقُ جَمِيعًا" .

• فيعترف هو (إن الله وعدكم وعد الحق) أي أنّ الـوحي حق، والشرائع ثابتة ساطعة ، فصدق في وعده وهو وعده سبحانه

بالبعث والحساب ومجازاة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.(ووعدتكم) وعداً باطلاً بأنه لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار، (فأخلفتكم) ما وعدتكم به من ذلك (وما كان لي عليكم من سلطان) (إلا أن دعوتكم) أي مجرد دعائي لكم إلا الغواية والضلال بلا حجة ولا برهان .

- فليس لكم عليّ قول ولا تثريب ، فأنتم السبب في غوايتكم (فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ) إِذَا جِئْتُمُونِي مِنْ غَيْرِ حُجَّةٍ. (مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ) أَيْ بِمُغِيثِكُمْ. (وَما أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ) أَيْ بِمُغِيثِيَّ. وَالصَّارِخُ وَالْمُسْتَصْرِخُ هُوَ الَّذِي يَطْلُبُ النُّصْرَةَ وَالْمُعَاوَنَةَ، وَالْمُصْرِخُ هُوَ الْمُغِيثُ. (إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ) أي: تبرأتُ من جعلِكم لي شريكا مع

الله، لأنَّ كلُّ عابد بغير الله هو عابد للشيطان ، منطو في ولايته ، فلست شريكا لله ولا تجب طاعتي، ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ لأنفسهم بطاعة الشيطان ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ خالدين فيه أبدا.

وهذا من لطف الله بعباده ،أن حذرهم من طاعة الشيطان وأخبر بمداخله التي يدخل منها على الإنسان ومقاصده فيه، وأنه يقصد أن يدخله النيران، وقد تحقق ذلك ، وبانت نهايته، وأن أحاديثه كلها إغراء وإغواء ، والله المستعان .

٢٦/ (ننقصها من أطرافها..)

• تُليت هذه الآيةُ ، فرنّت في أذنيه ننقصها، فتعجب من وقعها وكيف يكون نقصانها وتلاشيها (أَوَلَم يَرَوا أَنَّا نَأتِي ٱلأَرضَ نَنقُصُهَا مِن أَطرَافِهَا) سورة الرعد . وشبهها في الأنبياء. فقيل بالفتوحات الإسلامية ، أو بموت علمائها وخيارها . (ننقصها من أطرافها) حيث امتن الله على المسلمين باتساع أتباعهم، يقول: أولم ير أهل مكّة أنّا نفتح لمحمد صلى الله عليه وسلم ما حولها من القرى أفلا يخافون أن تنالهم يا محمد ﴿ والله يحكم ﴾ بما يشاء ﴿ لا معقبَ لحكمه ﴾ . وعليه فالمُرادَ بِالأَرْضِ أَرْضُ الكافِرِينَ مِن قُرَيْشٍ فيكون التعريف للعهد، وتَكُونُ الرُّؤْيَةُ بصرية، ويَكُونُ ذَلِكَ إيقاظًا

لَهم كَما غلب عَلَيْهِ المُسْلِمُونَ مِن أَرْضِ العَدُوِّ فَخَرَجَتْ مِن سُلْطانِهِ فَتَنْقُصُ الأَرْضُ الَّتِي كانَتْ فِي تَصَرُّفِهِمْ وتَزِيدُ الأَرْضُ الخاضعة لِأَهْلِ الإسْلامِ، حتى صارت مكة مسلمة وتناقص أهلها من الكفار .

- هذا هو التفسيرُ المشهور في كتب التفسير، وقيل غير ذلك، وذكر بعض المعاصرين تفسيرا جيولوجيا ، قالوا ثبت علميًّا أن هناك نقصًا مستمرًّا في الأرض من حيث هي كوكب الأرض، أو اليابسة التي نحيا عليها، أو التربة التي تغطي اليابسة، وأن الأرض يحدث لها انكماش دوري، فعندما تنفجر البراكين في داخل الأرض تخرج الغازات من داخلها،

وتخرج المواد الموجودة في داخل الأرض، فيصير مكان البركان فارغًا في الداخل فتنكمش الأرضُ على نفسها..!

- وهذا التفسير لا يلغي السابق التراثي ، بل يضم إليه ويكون معجزةً ورسالة إلى الأمم الكافرة لتصدق بالإسلام ، وأنه الدين الحق، وكلمة الله إلى الناس جميعا .

٢٧/ (ظلّ وجهه مسوداً..)

• حينما تستطعمُ لذة إنجاب البنات وما وضعه الباري فيهن من رقةٍ ونعومة ، وحُسن تعلقهن بالأب، تعجب من صنيعة الجاهليين، وبشاعة انحرافهم، في الوأد والقتل، وانطماس الرحمات..!! قال تعالى :(وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلأُنثَىٰ ظَلَّ وَجهُهُۥ مُسوَدّا وَهُوَ كَظِيم) سورة النحل : ٥٨ . أَيْ: كَئِيبًا مِنَ الْهَمِّ، ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ سَاكِتٌ مِنْ شِدَّةِ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْحُزْنِ، ﴿يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ﴾ أَيْ: يَكْرَهُ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ ﴿مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ أَيْ: إِنْ أَبْقَاهَا أَبْقَاهَا مُهَانَةً لَا يُورِّثُهَا، وَلَا يَعْتَنِي بِهَا، وَيُفَضِّلُ أَوْلَادَهُ الذُّكُورَ عَلَيْهَا، ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ أَيْ: يَئِدُهَا: وَهُوَ: أَنْ يَدْفِنَهَا فِيهِ

حَيَّةً، كَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، أَفَمَنْ يَكْرَهُونَهُ هَذِهِ الْكَرَاهَةَ وَيَأْنَفُونَ لِأَنْفُسِهِمْ عَنْهُ يَجْعَلُونَهُ لِلَّهِ ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ . فهم مُسيئون ابتداءً وانتهاءً، فقد كرهوا نعمةَ الله، وأضافوها إلى خالقهم ورازقهم تعالى ...!

- جوارٍ صغيرات خرجنَ من أصلابهم ، قذفَ الله فيهنّ الرحمة والعطر والنسمة، يعمد آباؤهن الأشرار، إلى وأدهن بطريقةٍ بشعة لا تنتمي للرحمة ولا للإنسانية ، والله المستعان .

- وسببُ ذلك انحرافهم العقدي والخلقي ، وتقليدهم آباءهم وأجدادهم الأقدمين ، وانتكاس فطرهم، حيث جمُدت عواطفهم، وجفّت ضمائرهم ، وساءت فعالهم، والله المستعان . ومن المؤسفِ أن تبقّى في الأجيال المعاصرة بقايا

من ذلك التصور تجاه الأنثى ، وكراهية ولادتهن ، وتفضيل الذكور .. نعم الذكور مفضلون عند الأزواج ، ولكنْ للإناث حلاوة وجمال، ولذلك قدمهن في الإيجاد والهبة (يهبُ لمن يشاء إناثًا ويهب لمن يشاء الذكور) سورة الشورى . وصحّ قوله صلّى اللهُ عليه وسلم :(مَن ابتُلي مِن هذه البنات بشيء فأحسَنَ إليهن، كنَّ له سِترًا من النار). والله الموفق .

٢٨/ (وإنَّ أوهنَ البيوت..)

• هل شاهدتم بيتَ العنكبوت ، وكيف ضعفُه ووهنه، بحيث لا يصمدُ على عوامل الهدم والتغير والتلاشي ! فإذا وعينا ذلك لننظر إلى معتقدات المشركين وتعلقهم بغير الله نفعًا وضراً، فلهي أعظمُ هوانا وسقوطا من بيت العنكبوت، لهوان القائم والمعتمد.. كما قال سبحانه :(مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللهِ أَولِيَاءَ كَمَثَلِ ٱلعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَت بَيتا وَإِنَّ أَوهَنَ ٱلبُيُوتِ لَبَيتُ ٱلعَنكَبُوتِ لَو كَانُوا يَعلَمُونَ) ٤١ سورة العنكبوت .

• فهَذَا مَثَلٌ قرآني مضروبٌ لِلْمُشْرِكِينَ فِي اتِّخَاذِهِمْ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللهِ، يَرْجُونَ نَصْرَهُمْ وَرِزْقَهُمْ، والعصمة بِهِمْ فِي الشَّدَائِدِ، فشبههم الله فِي ذَلِكَ كَبَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ فِي ضَعْفِهِ

وَوَهَنِهِ، فحالهم في ذلك كمَنْ يَتَمَسَّكُ بِبَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ الواهي، فَإِنَّهُ لَا يُجْدِي عَنْهُ شَيْئًا، فَلَوْ عَلموا هَذَا، لَمَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ، وَهَذَا بِخِلَافِ الْمُسْلِمِ الْمُؤْمِنِ قَلْبُهُ لِلَّهِ، وعمله مستعصم بشرعه ، وفي يديه العروة الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا، لِقُوَّتِهَا وحسن عاقبتها وثبوتها .

- ولذلك وجبَ تحقيقُ المعتمد، وتصحيحُ المقصد ، ومعرفة الخالق الحق الصمد ، الذي هو موئلُ العباد ومحلُّ شكواهم وقضايا حوائجهم ، فهو الصمدُ الذي تصمدُ كلُّ الخلائق عنده ..! (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) سورة فصلت .

ولو وعى ذلك المشركون علما لأيقنوا ولكنهم في جهالة وضلالة قال: (لو كانوا يعلمون) أي أن اتخاذهم الأولياء ،

من دون الله كاتخاذ العنكبوت بيتـًا، وأن أمـر ديـنهم بلـغ هـذه الغاية من الوهن ما عبدوها، ولكنهم ذوو جهل وانعدام تفقـه، وإلا فالـدلائل في الكـون ظـاهرة، والهـوان بـارز ، ولكـنهم في طغيانهم يعمهون، والله المستعان .

٢٩/ (فلا تقل لهما أف..)

• تلاها الشيخُ الإمامُ ، فتذكرتُ كثرتها على ألسنتنا من أيام الطفولة ..أف وأف وتأففات طويلة لا تنقضي! ولم نرعَ حقَّ الوالدين.! قال تعالى: ﴿لَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنهَرهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَولا كَرِيما﴾ ٢٣ سورةُ الإسراء. وفي التعبير بهذه الكلمة الوحيدة والتحذير منها ، دليل على فضل حق الوالدين ، وفظاعة ما سيقع بعد ذلك..!

• وأف: اسم فعل ينبئ عن التضجر والاستثقال أو صوت ينبئ عن ذلك ، فنهى الولد عن أن يظهر منه ما يدل على التضجر من أبويه ، أو الاستثقال لهما وقيل أف مصدر بمعنى تبًا وقبحًا وخسرانًا، وبهذا النهي يفهم النهي عن سائر ما

يؤذيهما بفحوى الخطاب أو بلحنه، ومن المؤسفِ كثرة التجاوزات هذه الايام ، وضياع حق الابوين ، وشيوع العقوق والضياع الأسري، والله المستعان .

- وإذا كان برُّهما من أبواب الجنة، فعقوقهم كذلك من مسببات النار والعياذ بالله..! ثم قال : (ولا تنهرهما) : أي لا تضجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك، وقيل: لا تكلمهما ضجراً صائحًا في وجوههما . (وقل لهما) بدل التأفيف والنهر (قولاً كريمًا) أي لينًا لطيفًا جميلاً ، أحسن ما يمكن التعبير عنه من لطف القول ، وكرامته مع حسن التأدب والحياء ، والاحتشام. وقال محمد بن زبير رحمه الله : "يعني

إذا دعواك فقل لبيكما وسعديكما" . وقيل : هو أن يقول يا أماه يا أبتاه ولا يدعوهما بأسمائهما ولا يكنيهما .

- ويشبه التأففَ والانتهار حركةُ الصوت ، وتعابير الوجه ، والتضايق من مطالبهم ، أو توليتهما الدبر والإعراض عنهما ، واذا تمادى ذلك جر الى صور العقوق الفظيعة، ويسوء في حالتي الكبر والمرض ، والله المستعان . وفي الحديث: (رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، قيلَ: مَنْ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: مَن أدْرَكَ أبَوَيْهِ عِنْدَ الكِبَرِ، أحَدَهُما، أوْ كِلَيْهِما فَلَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ) . رواه مسلم في صحيحه ، والله الموفق .

٣٠/ (فأبين أن يحملنها وأشفقن..)

• لشدةِ وقعِها، وعظمِ ثِقلها ، رفضتها السمواتُ والمخلوقات (فَأَبَينَ أَن يَحمِلنَهَا وَأَشفَقنَ مِنهَا وَحَمَلَهَا ٱلإِنسَٰنُ) أي الأمانة، وكان فيها من تكاليف وشرائع ، احتملها ابنُ ادم لجهله وظلمه! قال الحبرُ ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه : " الأمانة : الفرائض، عرضها الله على السموات وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ، إِنْ أدوها أَثَابَهُمْ. وَإِنْ ضيعوها عذبهم، فَكَرِهُوا ذَلِكَ وَأَشْفَقُوا مِنْ غَيْرِ معصية ، وَلَكِنْ تَعْظِيمًا لِدِينِ اللهِ أَلَّا يقوموا بِهَا، ثُمَّ عرضها عَلَى آدَمَ فقبلها بِمَا فِيهَا، وهو قوله : ﴿وحملها الإنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا﴾ يَعْنِي: غِرًا بِأَمْرِ اللهِ " .

• والمؤمنُ مؤتمنٌ على كل دين الله في خاصته وعامته، وعليه تحمل عاقبة ذلك الحمل الذي تورعت منه السموات والجبال . فلقد خفنَ من الأمانة أن يؤدينها فيلحقهن العقاب، أو خفن من الخيانة فيها. والأمانة هنا تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال...! وقال أبيّ ابن كعب: من الأمانة أن ائتمنت المرأةُ على فرجها، وقال أبو الدرداء: غسل الجنابة أمانة، وإن الله لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيرها، وقال ابن عمر: أول ما خلق الله من الإنسان فرجة، وقال هذه أمانة أستودعكها فلا تلبسها إلا بحق فإن حفظتها حفظتك فالفرج أمانة، والأذن أمانة، والعين أمانة، واللسان

أمانة، والبطن أمانة، واليد أمانة، والرجل أمانة، ولا إيمان لمن لا أمانة له.

- وثمرة ذلك : أنك مسؤول عن ذلك كله، في ذاتك وفي شؤون الحياة ، وفي جوارحك وتعاملاتك ، وفي كلامك وأخلاقك ، وفي عباداتك والتزاماتك ، وجوهرها حسنُ الاستقامة ولزوم الصراط المستقيم وفي الحديث قال عليه الصلاة والسلام للسائل:(قل آمنتُ بالله، ثم استقم). والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

تم كتاب (الطمأنينة القلبية)

والحمد لله على توفيقه وتيسيره. اللهم انفعنا بآيات كتابك. واجعلها لنا نورا وانشراحا. واطمئنانا إلى يوم الدين .

